# قراءة نقدية للكاتب الصهيوني الفرنسي روبير مزراحي

جوزيف سماحه

ان اي نقاش مع الكاتب الصهيوني «الاشتراكي» روبير مزراحي من خلال كتابه « ماركس والمسألة اليهودية » قد يؤدي ، عدا عن تبيان الطلاق التام بين مزراحي والاشتراكية ، الى اعتبار هذا الكاتب واحدا من التيار الصهيوني المتأثر بالافكار الماركسية والذي يحاول التوفيق بين نزوعه الصهيوني الفعلي و « ايديولوجيته الاشتراكية » المعلنة . الا ان اي اطلاع على الافكار السياسية التي يسوقها مزراحي في عدد آخر من الابحاث والمقالات سيؤدي الى نزع آخر الاقنعة « التقدمية » عن هـذا الوجـه الصهيوني . فمزراحي يطرح ، في عدد من مقالاته، آراء تتجنب الاحزاب الصهيونية طرحها ( من غاحال حتى المابام ) . وهو كما سنرى ، يقطع صلته بما اتفق على تسميته « باليسار الصهيوني » ليدافع عن اسرائيل كما هي ، رافضا اخضاع اي تصرف من تصرفاتها للنقد ، وذلك بحجة انها موجودة في خطر الابادة . ويصل مزراحي ، في آرائه التي سنعرضها ، الى حد يفقد معه الكلام — كلامه — وظيفته الاساسية الدعاوية : الدفاع عن اسرائيل من منطلق اشتراكي ، تقدمي ، ثوري ، لا بل يفقد هذا الكلام كل وظيفته .

فالايديولوجية التي يفترض فيها ان تستعير من الواقع بعض ملامحه لتضخمها وتعظمها وتحلها محل الواقع نفسه — في ذهن البشر ، واحيانـا في سلوكهم — تقع في مأزق اذا ما امتنع الواقع عن تقديم أي عنصر قابل للتأويل والتفسير . وهـذا هو بالضبط المأزق الذي يقع فيه مزراحي ، وهو المأزق الذي يجعل من محاولات هذا الاخير لتجميل صورة اسرائيل عبثا لا طائل تحته ، ويدفع بهذه المحاولات الى الايغال في افتراقها عن الواقع حتى تصل الى حدها الاقصى ، حدها الكاريكاتوري المضحك .

سنكتفي ، فيما يتعلق بمزراحي ، باستعراض آرائه السياسية ، متجنبين نقاشها ، خالصين الى آرائه الواردة في كتاب « ماركس والمسـألة اليهودية » .

ان الهدف الذي نرمي اليه هو عرض رأي شبه متكامل لكاتب صهيوني يدعي الاشتراكية ، وفي الوقت نفسه ، تقديم ملامح رد ماركسي فعلي عليه. وهذه مهمة متواضعة لا تفترض الغوص في جزئيات كتاب « ماركس والمسألة اليهودية » اذ ان هكذا تحليل يستلزم كتابا آخر .

ان الدفعة الاولى من آراء مزراحي واردة في بحث له بعنوان « اللاسامية الكامنة » ، وهو فصل من كتاب صادر عن دار ماسبيرو بعنـوان « العرقية والمجتمع » ( ١٩٦٩ ) . هذا البحث ليس أكثر من سرد آراء واطلاق احكام بدون أي برهان او دليل — سوى بعض الملاحظـات الشـخصية — وفيـه يعدد مزراحي أشـكال اللاسامية الظاهرة والكامنة ( سيعود في كتابه « ماركس والمسألة اليهودية » لتركيز الهجوم على اللاسامية الاشد خطرا : «اللاسامية اليسارية» ). قلنا ان مزراحي في تقديمه لفرضياته يظن انه يقدم مسلمات لذا فانه لا يتحرج ابدا من اعتبار بعض المظاهر الخارجية كتعبير عن اللاسامية مستنـدا في ذلك الى تجربته الشخصية فحسب ، وهكذا نراه يدرج ضمن خصائص اللاسامية الكامنـة خاصية الضيق . فيقول « انه اذا ذكرت كلمة يهودي ، امام احدهم فتغيرت بعض ملامحه ، فهذا دليل على لاساميته الخطرة ».( لا يهتم مزراحي اذا كان تغير هذه الملامح يدل على تعاطف مع اليهود . فهو يرى حتى في هذا التعاطف لاسامية كامنة ) . السمة الثانية من سمات اللاسامية الكامنة هي الصمت . اذا ما هاجم احدهم كافة